

لاشك ان وعي العرب القومي أخذ في النمو والانتعاش، وان الشعور بضرورة العمل الجدي لتحقيق الوحدة العربية او الاتحاد العربي على الاقل يزداد يوماً بعد يوم . وعلى الرغم من ان هذا القول لا يحتاج لإيراد الأدلة لاثبات

على هامش المؤتمر الدائم لقضايا الوطن العربي حول الوحدة والاتحاد بمقلم شبلي العيسوي

وبعد : فما دامت الاكثوية في بلاد العرب قد اصبحت في هذه الايام تنادي بنوع من الوحدة او الاتحاد ، وتعتقد بان في ذلك قوة للعرب وطريقاً

لنهضتهم الشاملة ، فما هي الاسباب في بقاء التجزئة وما هي العقبات التي تعترض سبيل الوحدة او الاتحاد ؟

سنحاول في هذا المقال ان نلمس الاسباب والعقبات أملاً في معرفتها ، لاعتقادنا بان الخطوة الاولى يجب ان تبدأ من هذه المعرفة ، لكي تأتي الحلول مناسبة لها ، فضلاً عن اننا نرجو من هذه المحاولة ان تثير اهتمام بعض المفكرين في بلاد العرب وتحملهم على البحث الجدي في قضايا اساسية هامة يشعر المحلصون من ابناء العرب بضرورة بحثها والتعمق في دراستها . قد يذهب بعضهم بعيداً في التعليل فيرجع الى اعماق التاريخ ليجد من سلوك العرب في الجاهلية - ذلك السلوك القائم على الخصومات القبلية العنيفة ، وامتداده الى ما بعد الاسلام - ما يشكل نوعاً من العادة التي تناقلها العرب جيلاً بعد جيل ، وليجد من التراث القديم أكبر عائق يحول بتعاليمه وقيوده دون الانبعاث المنشود . وقد يشارك هؤلاء في الرأي اولئك الذين تستهويهم التعليلات النفسية والفلسفية فيقولون ان الشعوب كالأفراد يمتاز بعضها عن بعضها الآخر بصفات خاصة وبميزات معينة - ثم يعتبرون ، بالاستناد الى هذا الاساس ، ان الروح الفردية نزعة متأصلة في النفس العربية .

من المرجح ان يكون هذا الرأي وليد الفرد المجرّد والذهن الذي يلذ له الانفلات من وقائع الحياة وتجاربها الحية . ومع ذلك فالرأي لا يخلو من طرافة ولا يجب اهمال الرد عليه :

١ - نعتقد ان اصحاب هذا الرأي لو امعنوا النظر في تاريخ العرب لوجدوا ان العرب أنفسهم استطاعوا في مرحلة من المراحل - ان يحققوا وحدتهم على اساس مركزي عهد الراشدين ، وان يحققوا هذه الوحدة على اساس لامر مركزي عهد الامويين والعباسيين ، ومعنى ذلك ان روح التجزئة ليست طبيعية ولا متأصلة في النفس العربية ولا قادراً مفروضاً عليها .

٢ - ان الامم الاوروبية التي نعتبرها مثلاً أعلى في تحقيق

صحته ، فلا بأس من ان نذكر ان معظم الاحزاب العربية - وهي التي يفترض فيها ان تعبر عن حاجات الشعب واهدافه - قد نصت في مبادئها على ضرورة العمل من اجل الوحدة العربية . ثم ان الفئات الحاكمة نفسها ادركت تزايد الشعور الشعبي بضرورة الوحدة ، فراحت تسير هذا الشعور وتسانعه بالتصريحات الحماسية تارة وبتقديم المشاريع والمواقف الاتحادية تارة اخرى . ولعل افضل دليل نسوقه في هذا المقام هو ذلك الحماس الشديد الذي ظهر للوحدة من اعضاء مؤتمر الحريجين الدائم لقضايا الوطن العربي . ولا نكون مغالين اذا قلنا ان كلمة الوحدة العربية كانت في المؤتمر الكلمة السحرية التي تحرك الجمهور وتنتزع تصفيقهم على اختلاف نزعاتهم وميولهم . ومهما حاولنا ان نقلل من قيمة هذه الظاهرة بأن نصمها بالاصطناع والسطحية او بانها مشبوهة يتركها الاستثمار واعوانه فانها تبقى عظيمة الاثر والدلالة .

اجل ، منذ اكثر من عشر سنوات كان البحث في القومية العربية مقتصرأ على عدد قليل من مفكري العرب ، وكان مفهوماً في اذهان الكثيرين منهم مضطرباً يفتقر الى الدقة والوضوح . اما الايمان بالوحدة العربية والنضال في سبيلها ، فلم يتعدى نقرأ من المواطنين ، في حين كانت المنظمات الاقليمية والدعوات الشووية ترفع رأسها وتبث سمومها ، وكانت العناصر الرجعية والفئات المنتفعة النفعية تسعى جهدها للمحافظة على اوضاع التجزئة وتثبيت الكيانات المتعددة التي اقامها الاستثمار تثبيتاً لاقدامه في الوطن العربي وتسهيلاً لاستغلال خيراته وموارده .

وعلى الرغم من مضي اكثر من عشر سنوات على بعض المناقشات مع عدد من المواطنين حول الوحدة العربية ، فاني لا ازال اذكر كيف كان بعضهم يجادل على اساس من الفئاعة بان الوحدة ضرب من المحال او نوع من الوهم والخيال .

وان انس لا انس المناقشة التي جرت بيني وبين استاذ التاريخ في الجامعة السورية (وهو من مصر) وذلك عندما قال في احدي محاضراته لنا ان « من الممكن ان توجد قوميات عديدة كالقومية المصرية والقومية السورية ... الخ ضمن القومية العربية » وعندئذ اعترضت على هذا القول وتصديت لمناقشته فطاب مني ان اعد محاضرة بهذا الموضوع ففعلت . وتشاء الظروف الطيبة ان التقي مع استاذي المذكور في مؤتمر الحريجين بالقدس ، وتشاء هذه الظروف نفسها ان اكون واياها في لجنة الدستور الاتحادي . وحين ذكرته بمناقشاتنا في الجامعة السورية اجاب بأنه « اصبح قائماً بانه لا حياة للعرب بدون الوحدة » . طبعي اني لا اريد من رواية هذه القصة ان اشير الى صواب رأيي وخطأ الرأي الآخر ، وانما اريد القول ان وضوح الفكرة القومية وغو الوعي القومي لدى العرب وتتابع الدروس القاسية والكوارث - وفي مقدمتها كارثة فلسطين - جعلتهم يدركون ان قوتهم وكرامتهم وتحقيق نهضتهم الشاملة رهين بتحقيق وحدتهم .

الفنون

عدد ممتاز من « الآداب »

تفتتح به عامها الرابع في مطلع ١٩٥٦ ، وتقدمه للقراء العرب تحفة ثمينة تشتمل على دراسات مستفيضة عن الرسم والنحت والتصوير والموسيقى والتمثيل والسينما في البلاد العربية وفي الغرب ، مع مجموعة كبيرة من الرسوم لكبار الفنانين في الغرب والشرق . انتظروا صدوره في اواخر العام الحالي .
احجز نسختك منذ الآن

الامر الذي يؤدي بصورة طبيعية لتحقيق الوحدة المنشودة . وعلى الرغم من ان اصحاب هذا الرأي على جانب من الصواب الا ان ارجاع الاسباب كلها الى العامل المادي وحده لا يخلو من الخطأ والغلو .

وهناك فريق ثالث تغلب عليه النزعة السياسية الواقعية فتأتي آراؤه في هذا الموضوع متأثرة بالوقائع والتجارب التي يمر بها . فقد يلمس بعض هؤلاء تدخلاً سافراً ومؤامرات مكشوفة من جانب الاستعمار ، فيتألم لهذا اشد الألم ويندفع في التعبير عن ألمه بتجسيم خطر الاستعمار حتى يراه العقبة الاساسية التي تقف في سبيل الوحدة ، في حين يلمس آخرون مدى جمود الرجعيين وتخاذلهم - وهم المسيطرون على مقدرات البلاد واجهزتها - فيعتبرونهم العقبة الاساسية والوحيدة في طريق الوحدة .

ولهذه الآراء قيمة عملية لانها - بالتجسيم والمبالغة - تزيد من التحسس بهذه الاخطار وبضرورة التخلص منها .

اما نحن فنعتقد بان من الخطأ الفادح ان نعلل بقاء التجزئة بسبب واحد ، لان وحدوية السبب ان صحت على الاشياء المادية فهي لا تصح اطلاقاً في المجتمعات البشرية . وفي هذا الميدان بالذات تكثر الاجتهادات وتتفاوت الآراء ويصبح اكثرها انتشاراً اقربها الى المنطق واكثرها اعتدالاً على

الوحدات القومية كانت في ما مضى مثقلة بتراث قديم لا يقل عن تراث الامة العربية في قيوده وتقاليده . ومع ذلك فقد استطاعت تلك الامة ان تتخطى تراثها القديم المعرقل لنموها وتحقيق وحدتها .

٣ - ثم ان العقل البشري واحد من حيث الجوهر وقابلية النمو والتحرر ، فليس ثمة ما يبرر حصر هذه القابلية في عقول الامة الاوربية ونفيها عن العقل العربي .

٤ - ان العقل الذي خلق ذلك التراث وما فيه من قيود وسدود يستطيع هو نفسه ان يجدد هذا التراث ويحطم ما فيه من قيود .

وهناك فريق آخر يعلل الاسباب في عدم الوصول الى الوحدة بأمور يراها اقرب الى الواقعية والطريقة العلمية ، على الرغم من أن آراءه تأتي متأثرة ببعض النظريات الاقتصادية والسياسية التي يعتقد بصحتها كالماركسية مثلاً ، فيرى هذا الفريق ان الوضع الاقتصادي الحالي في بلاد العرب يقوم على اسس اقطاعية رأسمالية جائرة وان الشعور بجور هذه الاسس وفسادها سيمد المواطنين بالقوة النضالية التي ستبدل حتماً هذه الازواضع باوضاع اخرى عادلة تفسح المجال امامهم لاستخدام امكانياتهم ومواهبهم على احسن وجه ، وتتيح لهم فرصة التحرر من سيطرة الاستعمار والرجعية ،

وبالاستناد الى هذه الملاحظة نرى ان يطرح الموضوع بالشكل التالي :

الايضا الاقتصادية في الوطن العربي سيئة فاسدة ، وتوزيع الثروات فيه جائر غير عادل لانه يقوم على اساس اقطاعية رأسمالية ، تستطيع الاقلية في ظلها ان تستثمر الاكثرية وتبقيها مغلوله اليد مشغولة الانتاج . وينتج عن ذلك ان حاجة العرب ماسة لتحقيق الاشتراكية العربية .

اما من الوجهة السياسية والاجتماعية فنلاحظ ان الفئات العاملة بالسياسة لا تزال - في اكثريتها - ضعيفة الثقة بنفسها وبامكانيات امته ، بل يكاد بعضها يرى في الاستعمار قدراً لا يمكن للعرب ان يتخلصوا منه ولا بد لهم من مسابرة والاعتماد عليه ، كما يرى ان قوى الرجعية لا تزال مسيطرة على الثروة والتوجيه ، ويصعب القضاء عليها في هذه المرحلة على الاقل وفي وضع كهذا يشعر الشعب بالحاجة الى جيل عربي جديد منظم ، يتوفر فيه الوعي والايان والشعور بالمسؤولية ، يثق بنفسه ، ويؤمن بقدره امته على التحرر من سيطرة الاستعمار وتحكم الرجعيين .

ولن يتم ذلك الا بان نجعل من الحرية شعاراً ناضل في سبيله ونرخص النفس من اجله .

اما من الوجهة القومية فنلاحظ ان بقاء التجزئة بقاء للاستعمار او تدعيم لسيطرة الاقلية المستغلة التي تبني قوتها على حساب مصلحة العرب العليا . ولهذا كان من الطبيعي ان تكون الوحدة العربية هدفاً اساسياً للعرب في هذه المرحلة التاريخية .

* * *

ونعرض الآن بعض الآراء والاتجاهات التي يروج لها المهتمون بقضايا الوطن العربي ، ويعتقدون بان في تبنيها والعمل على اساسها ما يؤدي لتحقيق الوحدة المنشودة .

ولكن قبل ان نوجز آراء هؤلاء واتجاهاتهم لا بد من الاشارة الى ان في هذا الوطن فئات اخرى تهتم بقضاياها ، ولكنها في الوقت نفسه ، لا تؤمن بالقومية العربية ولا تتطلع لتحقيق الوحدة بين اقطاره .

وعلة ذلك ان بعض الفئات يدين بالقومية الاقليمية الضيقة على اساس منظم يدس تارة طابع العقيدة والبدأ ، ويكشف تارة اخرى عن دوافعه النفعية ، في حين يتخطى بعضها الاخر حدود القومية العربية ليتخذ

من الامية عقيدة ومذهباً ، ويبنى عمله ونضاله على هذا الاساس . وهنالك فريق ثالث يلتقي مع هذه الفئة بمطامنة دينية لا تقوى وحدها على بناء دولة قوية يتوفر فيها التماسك والانسجام . ويدخل في زمرة هؤلاء بعض الفئات المنتفذة ، الفئات التي ترى في بقاء الكيانات القائمة بقاء لنفوذها ، فتسعى لتثبيت التجزئة والحفاظ عليها بطرق متعددة ، هي مسافرة مكشوفة في بعض الاحيان وملتوية خفية في اكثر الاحيان . وذلك بان تدعي الايمان بالقومية العربية وتتادي في الظاهر بتحقيق الوحدة ، وتتبنى كذلك منطق الوجوديين الصادقين ولكنها تهدف في الاصل الى الاستغلال ولا تتورع عن تشويه الخطوات الجديدة وعرقلةتها . ولا شك ان المفوضين في دوافعهم والمشبهين بصلاتهم الاجنبية من هذه الفئة ينفرون الشعب من الوحدة العربية اذا كانوا من الناشطين في الدعاية لها .

اجل ... ليس الغرض من هذا المقال ان تناقش هؤلاء في آرائهم ، وانما ان نعرض آراء المؤمنين بالعروبة والمنادين بالوحدة أملاً في الوصول الى احسن الطرق العملية المؤدية لتحقيقها .

ونعتقد ان هؤلاء ينقسمون الى فئتين :

الفئة الاولى تؤمن بالقومية العربية عن صدق ووعي وتريد تحقيق الوحدة بأي ثمن ، وتسمى لاتحاد غير مشروط ، كخطوة في سبيل الوحدة ، بل ربما ترى المساوية والمؤامرات الاستعمارية التي قد ترافق الاتحاد او تنشأ عنه اخف خطراً على العرب من بقائهم في حال التجزئة والانقسام . والاكثرية من هذه الفئة لا تزال خارج العمل الحزبي المنظم ولكنها تعبر عن آرائها في مناقشات المطبوعة بالحماسة والحرارة وفي كتاباتها التي تعتبر ان الوحدة هدف العرب الوحيد في هذه المرحلة من حياتهم ، وان قوام يجب ان تركز لتحقيق هذا الهدف . اما قضايا التحرر والاشتراكية وما شاكلها فتأتي في المحل الثاني بل يمكن ان تترك الى ما بعد المرحلة التي تتحقق فيها الوحدة .

اما الفئة الثانية فهي كالفئة الاولى تؤمن بالقومية العربية وتريد تحقيق الوحدة ولكنها تختلف عنها في :

١) انها لا تريد الوحدة بأي ثمن ولا تسمى لاتحاد تطغى فيه الاضرار على الفوائد .

٢) ترى في النضال من اجل الوحدة والقضايا الاساسية الاخرى كالحرية والاشتراكية كلاً موحداً لا يصح فصله وتجزئته .

٣) انها اكثر ايماناً بالعمل المنظم واكثر اهتماماً بتفجير القوى الشعبية والاعتماد عليها .

نمود بعد هذا لنلخص بدقة ووضوح - قدر استطاع - الادلة التي يتمسك بها كل من الفئتين .

يقول اصحاب الفئة الاولى طلاب الوحدة بأي ثمن :

١ - ان ضعف العرب وتأخرهم ناتج عن بقاء التجزئة وان تحقيق الوحدة يخلق فيهم القوة والعزة ويفتح امامهم باب التقدم السريع . وبالتالي يحقق لهم النهضة الشاملة .

٢ - ثم ان الوحدة التامة لا يمكن ان تتحقق دفعة واحدة (وفي هذا القول حق ومنطق) ولكنهم ينتهون منه الى الاعتقاد - او الاتهام احياناً - بأن الذين لا يرضون بأي شكل من اشكال الاتحاد انما هم

هذا الرأي في اكثر الاحيان من بطون الكتب ومن حوادث التاريخ بل من مظاهره ، فيقول اصحابه : الا تشير حوادث التاريخ وعوامل نشوء الاتحادات القومية الى الاثر البالغ والاهمية الكبرى اللذين تسديهما دولة قوية اجنبية الى الامة التي تسعى لتحقيق وحدتها ؟ أليس في ذلك عبرة واضحة تكاد تصبح لشدة وضوحها قانوناً طبيعياً يفسر نشوء الاتحادات القومية كالاتحاد الالماني او الايتالي او غيرها من الاتحادات ؟ ولماذا نخرج نحن العرب عن هذه القاعدة ونتخوف كثيراً من الاعتماد على دولة كبرى تدعم رغبتنا في تحقيق الوحدة بالنشجيع الادبي والسياسي وبالمؤازرة المادية ؟

١ - اما الفئة الثانية - ونحن من مؤيديها - فانها تتفق كل الاتفاق مع الفئة الاولى من حيث المبدأ القائل بان في الاتحاد قوة . بل ربما تذهب ابعد من ذلك فتتري ان لا قوة للعرب ولا كرامة بغير الوحدة .

٢ - ثم انها تدرك ان الوحدة العربية لا تتحقق بمعجزة سحرية ولا بعضاً سحرية ، وانما لا بد لها من مراحل ووسائل تراعي امكانيات الواقع .

اما ان يتهم بعضهم هذه الفئة بالمثالية والخيالية المعرفين من حيث النتيجة للوحدة لمجرد انها تحتفظ في قبول منطق « الاتحاديين بأي ثمن » فأمر لا نرى ما يبرره سوى احد شيئين :

اما جرح واندفاع في الايمان بالاتحاد وفي الدفاع عنه ، الى حد لا يستطيع معه المتهمون ان يجدوا منطقاً سليماً غير منطقهم .

واما انصياع واندفاع مع فئات حاكمة تريد ان تجعل من الاتحاد اسماً بلا مسمى ، وان يكون « كالبو » للتمويه والالهاء ، وبذلك تمتص المطالبة الشعبية بتحقيق الوحدة او الاتحاد .

٣ - والفئة الثانية تعترف كذلك بأن الاتحاد سييسل للوحدة او مرحلة من مراحلها ، ولكن شريطة ان يتم بشكل تكون فيه الفوائد اكثر من الاضرار ، ويكون الربح اكثر من الخسارة . وفي هذه النقطة بالذات تتضارب الآراء وتكثر الاجتهادات . ولا يتسع المجال في هذا المقال لان تفصل في نوع الاتحاد الذي تكون فوائده - اذا تم - اكثر من اضراره .

طلاب وحدة تامة لا يرضون عنها بديلاً ، وان هؤلاء المثاليين خيالون من حيث النتيجة ويعرفون بتزمتهم السير الطبيعي نحو الوحدة المنشودة . ٣ - وما دامت الوحدة لا تتحقق طفرة واحدة فلا بد لها من مسن وسائل ومراحل تأتي في مقدمتها اقامة اتحادات بين قطرين او اكثر من الاقطار العربية الحالية « لتقليل عدد الكيانات واختزال القوة الاقليمية التي تحاول تأخير الاتحاد » - ليس هذا فحسب بل ان الاتحاد في رأيسهم ولو كان بين قطرين فقط وضمن هذا الواقع الراهن يبقى اكثر فائدة واعظم نفعاً لمصلحة العرب لأنه يزيد في امكانيات النضال في صفوف الشعب . ٤ - ثم يقولون ان العرب يعيشون في هذه المرحلة الحاضرة ضمن كيانات ودول قائمة تنسك بها الفئات الحاكمة . وهذه الفئات لا تزال مسيطرة على القوى الاساسية في الوطن العربي ، ولديها من الامكانيات ما يعرقل السير الطبيعي نحو الوحدة . ومعنى ذلك ان كل دعوة ضمن هذا الواقع تهدف تحقيق الوحدة للاتحاد الممكن ستلقى من الحكام مقاومة ضارية لانها تنسف مصالحهم ونفوذهم وفي هذا تفصيل للخطوات العملية من اجل الوحدة وعرقلة للنضال في سبيلها .

٥ - ولو نشأت دولة اتحادية على اساس المحافظة على كيانات الدول القائمة ونوع الحكم فيها مع وجود برلمان اتحادي وتوحيد الجيش والثقافة والسياسة الخارجية وتنسيق الاقتصاد والغاء الحواجز الجمركية الخ ... (وهذا ما اقرت اسسه لجنة الدستور الاتحادي في الدورة الثانية لمؤتمر الحريجين) لكان في ذلك خير عميم للعرب ، بل الكفاهم ما في هذه الخطوة من تمهيد للوحدة وخدمة لها .

٦ - اما قضية الالتزامات التي تربط بعض الدول المشتركة بالاتحاد والمعاهدات الاجنبية المفيدة لها ، فانها في نظرم محلولة من الوجهة القانونية ، لان القانون الدولي لا يلزم دولة الاتحاد بالقيود التي تربط الدول الاعضاء . ٣ . ليس هذا فقط بل يذهبون في التفاؤل - المنبعث عن الرغبة الشديدة بتحقيق الاتحاد بأي ثمن - الى ان التزامات دول الاعضاء تسقط بموجب القانون الدولي لمجرد اشتراك هذه الدول في دولة الاتحاد . واذ لفتوا نظرم الى هذه الالتزامات والمعاهدات من الوجهة الواقعية قالوا « من لا يخسر التسعة لا يربح المشرة » ، وما لا يدرك كله لا يترك جله . فلا مانع والحالة هذه ، من ان تسري بعض المساويء من قطر عربي الى قطر آخر في سبيل الوصول الى نوع من الاتحاد بين هذين القطرين ما دام في الاتحاد كثير من المنافع المذكورة آنفاً . ولا مانع ايضاً من الدخول في احلاف ومعاهدات عسكرية وسياسية مع دولة او دول اجنبية قوية طمعاً بسكوتها عن الاتحاد او تأييدها له . ليس هذا فحسب بل يذهب بعضهم الحماس او الوهم - لا ادري - الى ان الاعتماد على دولة اوربية كبرى في تحقيق الاتحاد انما هو اسلوب عملي ينطوي على نفع كبير . ويستقي

١ ذكر هذا الرأي الاستاذ عبد الرحمن البراز رئيس نادي البعث ببغداد في مناقشة جرت بيني وبينه في مؤتمر الحريجين بالقفس .

٢ نحو الوحدة العربية ص ١١ - من منشورات مؤتمر الحريجين . كتبها السادة : يوسف خوري - صلاح عنبناوي - نزار جردانه - وصفي التل .

٣ جواب الدكتور ادمون رباط ومؤيديه ، في لجنة الدستور الاتحادي للمؤتمر ، في معرض الدفاع عن مشروعه المقدم حول « دستور دولة الاتحاد »

حول الوحدة والاتحاد

- تمة المنشور على الصفحة الخامسة -

جديداً اضيف الى الامثلة السابقة التي كشفت عن تمسكها بالوضع الراهنة واهمالها لكل عمل جدي في سبيل الوحدة. صحيح ان نضالنا في سبيل الوحدة ، يجب ان يرتكز على معرفة دقيقة للواقع . وصحيح أنه ليس من الحكمة في شيء ان نطالب في ظروف كهذه بالمتعذر كيلا يفلت من ايدينا الممكن . وصحيح أن تجاهلنا لعقلية الفئات الحاكمة وقواها لا ينطوي على خطأ فحسب بل وعلى ضرر للوحدة نفسها. صحيح هذا كله ولكنه لا يمنع من ان تبقى فئة من المناضلين العرب في صف المعارضة للخطوات الناقصة منعاً للوقوف عند هذه الخطوات واعتبارها الهدف الاخير ، خاصة وان هذه الفئات سبق لها ان اقامت الدنيا واقعدتها عندما انشأت الجامعة العربية والضمان الجماعي .

وبعد فلا نظن احداً من المؤمنين حقاً بالعروبة يطالب بتحقيق الوحدة دفعة واحدة وبصورة تامة شاملة ، ولكن هذا لا يعني قط الاستسلام لمنطق « الاتحاديين بأي ثمن » ولا يجب قبول اتحاد شكلي يوهم العرب بأنه الهدف المنشود ويمتص المطالبة بالاتحاد الفعلي . وإذن فتحفظ الفئة الثانية في قبول منطق « الاتحاديين بأي ثمن » ومطالبتها بأحسن الشروط واسلمها لا يصححان والحالة هذه ، أمراً مفيداً فحسب بل ضرورياً لضمان استمرار النضال في سبيل الوحدة .

هـ - وبالاستناد الى ما تقدم فان الفئة الثانية تعتبر ان إقامة اتحاد على اساس توحيد الثقافة والبرلمان والجيش والسياسة الخارجية والاقتصاد ، والغاء الحواجز الجركية ، مع المحافظة على الكيانات القائمة ، وضمن الاوضاع الراهنة التي قد لا تسمح

صدر حديثاً

الطبعة الرابعة من

الاسلام على مفترق الطرق

تأليف محمد أسد (ليوبولد فايس) وترجمة
الدكتور عمر فروخ .

دار العلم للملايين

الشمس ليرة ونصف

اما القول بان الاتحاد بين قطرين عربيين يقلل عدد الكيانات القائمة ، فهو صحيح من الناحية العددية ومن الوجهة المنطقية المجردة . ثم ان النتيجة التي يراد الوصول اليها من وراء هذا القول ، وهي اختزال القوة الاقليمية المعركة للوحدة ، قد لا تكون صحيحة ، وربما ادت لعرقلة قوى النضال ضمن الشروط التي اخصها اليها في السؤال الآنف الذكر .

ونعتقد ان من الخطأ الفادح ان ننظر الى موضوع الاتحاد وهو من القضايا الهامة المعقدة - من زاوية عديدة او من خلال المنطق المجرد الذي يهمل الواقع الحي ولا ينتبه كثيراً الى الشروط والملابسات التي تحيط بنشأة الاتحاد وتكوينه وتقرر مدى فوائده واضاراه .

٤ - اما القول بان الاتحاد يجب ان ينال رضا الفئات الحاكمة كيلا تعرقل تحقيقه ، فامر ان دل على الرغبة الشديدة بالاتحاد ، وعلى النظرة الواقعية المفيدة في تحقيقه ، فهو يدل من جهة ثانية على نوع من المسايرة والاستسلام للفئات التي اثبتت الحوادث انها تريد المحافظة على الواقع الراهن بحكم عقليتها ومصالحها ولضعف ثقافتها بنفسها وبامكانيات امتهان .

لقد كانت الجامعة العربية من صنع هذه الفئات وكان بإمكانها - لو اردت - ان تجعل موادها وعقودها اقوى وامتن بما جاءت ، بل كان بإمكانها - لو اردت ايضاً - ان تستند الى بعض موادها ، على ضعف هذه المواد ، فتعمل على تقوية الروابط بين العرب ، وتسير خطوات جديدة في سبيل الاتحاد ولكنها لم تفعل شيئاً من ذلك ، وتبددت الآمال التي علقها العرب على الجامعة . ثم تتعاقب الدروس القاسية على هذه الفئات ويزداد شعورها بخطور الاستعمار والصهيونية ، وتتضاعف المطالبة الشعبية بتوحيد الجهود لدفع هذا الخطر ، فتعمد هذه الفئات الى خلق الضمان الجماعي بين الدول العربية ولكن هذا الضمان بقي اسماً بلا مسمى ، ولم يشعر العرب بعد ابرامه بشيء من الضمان او الاطمئنان ، بل كان مثلاً

أوص منذ الآن

على عدد «الفنون» الممتاز، فالكمية محدودة،
والطلب عليه شديد.

٤ - ثم ان حوادث التاريخ نفسها تؤكد لنا ان الاتحادات القومية الصحيحة لم تتحقق الا بقوة الشعب او بالدم والحديد على حد تعبير بهارك بطل الاتحاد الالماني ثم ان الاتحاد الايتالي نفسه والذي يتخذ مثالا للدلالة على اثر المساعدات الاجنبية في تحقيقه، لم يكن لنا بليون فيه الا اثر ثانوي ضئيل، في حين كان الشعب الايتالي، بمنظوماته واكثر حكوماته، يناضل لتحقيق هذا الهدف قبل ان يتدخل نابليون بما يقرب من نصف قرن. وكانت الثورات تتكرر من اجل ذلك في مختلف الولايات والمقاطعات الايتالية، هذا وعلى الرغم من مهارة كافور في السياسة وحسن افادته من التنافس بين فرنسا والنمسا في ذلك الحين، فانه لم يستطع ان يضمن بقاء نابليون الى جانبه في الساعات الحاسمة من الحرب ضد النمسا.

٥ - ثم ان التاريخ لا يعيد نفسه، ولا يشترط ان تكون وسائل الاتحادات في اوربا وشروط تحقيقها متشابهة مع الوسائل والشروط المطلوبة لتحقيق الاتحاد العربي. وان ما صح في القرن التاسع عشر لا يشترط ان يصح في القرن العشرين.

٦ - ثم ماذا نعوض في عمق التاريخ لنقدم رأينا بالحوادث الحادثة احيانا، ونترك الوقائع الحية التي تطلعننا كل صباح ومساء، وتؤكد لنا بما لا يقبل الجدل ان دول العرب الكبرى لا يمكن ان تدعم اي اتحاد بين العرب، ليس هذا فحسب بل انها تسمى جهدها لاجباط كل عمل يهدف لتحقيق الاتحاد.

الا يكفيننا دليلا على نيات هذه الدول وهو قفها العملي من الاتحاد العربي انها خلقت اسرائيل وجعلتها اسقينا في قلب الوطن العربي يسمى يتمزيق وحدته ويدأب على تحطيم عربته؟

وبعد: فان اعتمادنا في تحقيق الاتحاد على دولة اجنبية واطمئناننا لوضع دستور اتحادي تبنيه الحكومات تبنيًا سطحيًا، وتآمر عليه قوى الاستعمار والرجعية، وركوننا لنصوص القانون الدولي مع تجاهل الواقع وملابسات الاتحاد وظروفه، أجل، ان هذا كله لن يوصلنا الى الاتحاد المنشود وإنما لا بد - كما يتحقق هذا الاتحاد من نضال دائم يستهدف الانقلاب الشامل في الفكر والسياسة والاقتصاد، ويرتكز الى اساس قوي من الوعي والايان والتنظيم.

وسنحاول توضيح ذلك في مقال قادم.

شibli العيسوي

السويدياء

بتطبيق بعض هذه الاسس إن لم نقل ربما تضيف اليها عوامل جديدة من الاحتكاك والتنافر نقول، إن اتحاداً كهذا تعتبره الفئة الثانية مرحلة جديدة وخطوة جديدة في سبيل الوحدة. فهي تباركه وتقبل به ولكنها تطالب في الوقت نفسه بغنم جديد، وتسمى لتوجيه القوى النضالية لتحقيق ما هو أحسن منه.

٦ - اما مسألة الالتزامات والمعاهدات التي ترتبط بها احدي دول الاتحاد، وكيف ان القانون الدولي يسقط عنها التزاماتها - كلها أو جملها - لجرد اشتراكها في الاتحاد ولا يُسمح بان تسري هذه الالتزامات - اذا بقيت - على بقية الدول الاخرى، اما هذه المسألة فحقوقية قانونية لا اريد ان أفهم نفسي في بحثها، ولكنني لا ازال اذكر تلك المناقشة الحادة التي جرت حول هذه المسألة بالذات بين رجال القانون في لجنة الدستور الاتحادي لمؤتمر الحريجين بالقدس، ولا ازال اذكر منها ان الدكتور ادمون رباط والاستاذ عبد القادر الميداني وغيرهما، قد خففوا من حماسهم لنصوص القانون الدولي بشأن الالتزامات، واعترفوا بان القوة التي تتوفر لدولة الاتحاد هي الأساس. فاذا بقيت هذه الدولة هزيلة ضعيفة، بقيت التزامات بعض دول الاتحاد على ما هي عليه. واذا اصبحت قوية حازمة استطاعت ان تخفف من وطأة الالتزامات إن لم نقل الغاءها والتخلص منها.

بقي علينا في نهاية هذا البحث ان نناقش الرأي الذي لا يجد مانعاً من الاعتماد على دولة اجنبية لتحقيق الاتحاد.

١ - من الواضح ان الدول العربية الكبرى تسيطر عليها الروح الاستعمارية وتسيرها مصلحتها القومية، فلا تؤيد اتحاداً عربياً ما لم تتأكد عملياً وموضوعياً من الفوائد والاضرار التي قد تجتنبها من جراء دعمها له، وهذا يعني انه لا بد من دفع الثمن على حساب حريتنا ومصالحتنا.

٢ - ولو افترضنا ان احدي الدول الكبرى وجدت من مصلحتنا ان تلي رغبات العرب، وتحصل على ثقتهم بها، وارادت ان تدعم الاتحاد العربي، فهل نستطيع ان ننفرد بهذا الامر من دون الدول الكبرى الاخرى وان تضمن عدم معارضتها الشديدة، لانفرادها بهذا التأييد، او لتضارب مصالحها مع هذه السياسة؟

٣ - ولنفترض كذلك ان هذا الامر ممكن، فهل يجدي تأييد علي للاتحاد العربي من دولة كبرى اشتهرت بمساوئها المتكررة مع العرب وبخاصة في هذا الظرف الذي نمت فيه كراهية الشعب العربي لهذه الدول الاستعمارية ولم يمد يري فيها سوى عدو غادر متآمر، لا يقيم وزناً للصدقة ولا يتقيد بالعهود والقيم الاخلاقية ولا ينظر بالتالي الى الآخرين الا من زاوية النظر المصلحية التي لحصها « بالمرستون » احد الساسة الانكليزي المشهورين فقال « ليس في نظر انكلترا صدقات وعداوات بل المصلحة الانكليزية فقط » .